الفصل الأول
الحركة العظمى للترجمة والتعريب فى العالم العربى والإسلامى

ليس التعريب (بمعناه الشمولى) بدعوة أو حركة حديثة فى عالمنا العربى والإسلامى ، بل هناك حركات سابقة ، ذلك لأنه قضية مصيرية حضارية مستمرة ومعقدة ، فلقد عربت علوم أجنبية كثيرة ودخلت اللغة العربية ألفاظ شتى كما أشرنا من قبل ، ولكننا سوف نبسط القول فى الحركة العظمى للترجمة والتّعريب التى جرت فى عصور الازدهار الحضارى للعالم العربى والإسلامى ، أيام الحكم الأموى ثم الحكم العباسى ، أى عصورهما ، ونبدأ هذه المعالجة بإيضاح طريقة تعامل العرب فى تلك النهضة مع ألفاظ وكلمات اللغات المجاورة . نقلَ صاحب كتاب (العربية لغة العلوم والتقنية) عن أبى حيان بيانه لتعامل العرب مع هذه الألفاظ كما يلى :

١ ــ تغيير بعض الألفاظ الوافدة وإلحاقها بأبْنية كلام العرب .

٢ ــ تغيير بعض الألفاظ الوافدة وعدم إلحاقها بأبنية كلام العرب .

٣ ــ ترك بعض الألفاظ دون تغيير .

ويقول الدكتور شحادة الخورى[1] : لم يكن فى ذلك العهد مجامع لغوية أو لجان جامعية أو دوائر معاجم ، ولذا كان جهد الفرد النابه هو الذى يعوض عن ذلك ويسد مسدَّه . ولم يكن عمل المترجمين القديرين عشوائياً فى إيجاد المصطلح ، بل اتبعوا الطرائق التالية :

١ ــ تضمين الكلمة العربية معنىً جديداً غير معناها السابق .

٢ ــ اشتقاق ألفاظ جديدة من أصول عربية أو معرَّبة .

٣ ــ إيجاد مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بمعانيها .

٤ ــ تعريب كلمات أجنبية واعتمادها .

إن إيجاد هذه الطرائق قد أعطب نتائج مفيدة ، وهى طرائق ما تزال صالحة اليوم لإيجاد المصطلحات التى تحتاج إليها .

---

(١) الخورى (شحادة) : تدريس العلوم باللغة العربية فى الوطن العربى . المجلة العربية للعلوم (٥) ١٩٨٤ م .

ولتفصيل المسألة ، فلقد كان العرب يغيّرون الحروف الأعجمية إلى حروف عربية ، ومما لوحظ مثلاً أنهم كانوا يُبْدون صوت الباء فاء ، والهاء قافاً أو جيماً ، فيقولون فى بستة : فستق ، وفى بالوذة : فالوذج ، ويقولون فى Paradius : فردوس ، وفى استبره : استبرق ، وربما قلبوا الخاء هاء كما فى (دراخمة) التى صارت : درهم ، وهناك أمثلة كثيرة على إبدال أصوات أخرى ، ولكن المتتبع للتبدُّلات الصوتية يجد أنها لم تَجْرِ فى لسان الأقدمين على قاعدة مطردة ، ويبدو أن العامل الذى يتحكم فيها متغيّر فى كثير من الأحوال ، ومن ثمَّ لم تطرد قاعدتها ، غير أن هناك مقاييس عامة استقر عليها الأقدمون يمكن الاحتكام إليها فى معرفة اللفظ الأعجمى ، سواء عُرِّبَ أم بقيت له عجمة[1] .

بدأت الحضارة العربية الإسلامية العظمى بالوحى الإلٰهى « القرآن الكريم » الذى أنشأ أمة كانت أمية ورفعها حتى تسنمت قمة الركب فى الكرة الأرضية ، فى غضون سنوات ليست بالطويلة ، لقد توالى بعد العصر الراشدى عصران ، هما العصر الأموى والعصرى العباسى ، فيهما ازدهرت الحضارة أيما ازدهار ، وذلك للنشاط العالمى الذى قام به العرب أبان هذين العصرين . وفيما يلى نوضح جوانب هامة من الترجمة والتعريب اللذين سار عليهما العرب والمسلمون فى نقل العلوم والمعارف من الحضارات السابقة والمجاورة .

العصر الأموى

نقل الدكتور على النشار[2] عن الفرنسى لوكلير Leclerc أن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بـ « حكيم آل مروان » (ت ٨٥ هـ/ ٧٠٤م) أمر بعض علماء اليونان الذين كانوا فى الأسكندرية بترجمة مجموعة كتب أرسطو المنطقية عن اليونانية إلى العربية . ويقول الدكتور محمد عفيفى[3] : لقد تخرج الأمير خالد بن يزيد فى علوم الحكمة على رهبان مدرسة الأسكندرية مثل مريانوس ، اسطفانوس ، وبذل العطايا والهبات وخص بنصيب وافر منها المترجمين الذين قاموا بنقل كتب النجوم والطب والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات .

---

(١) شاهين (د / عبد الصبور) : العربية لغة العلوم والتقنية . دار الاعتصارم بالقاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

(٢) النشار (د / على سامى) : مناهج البحث عند مفكرى الإسلام . دار المعارف بمصر ، ط ١ ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .

(٣) عفيفى (د / محمد الصادق) : تطور الفكر العلمى عند المسلمين . مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٧ م .

وينقل الدكتور محمد مرحبا[1] عن الفهرست لابن النديم أن خالداً كان فاضلاً فى نفسه وذا همة ومحبة للعلوم ... أمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كانوا ينزلون مصر ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة (أى الكيمياء) من اللسان اليونانى والقبطى إلى العربى ، وهذا أول نقل كان فى الإسلام من لغة إلى لغة .

ولم يكتف الأمير بالنقل والترجمة ، بل أسهم فى التأليف بنفسه ، حتى سُمِّيت تآليفه بأنها أول تآليف فى مجال الحكمة . ويعزى الدكتور يوسف عز الدين[2] اهتمام خالد بن يزيد وعكوفه على الترجمة والتعريب والتأليف بحرمانه من الحكم والسلطان ، فقد وجد فى العلوم والتصنيف عوضاً عما حُرمه من جاه الملك والحكم ، ولقد أذكت هذه الرغبة عنايته صغيراً بها حتى أنه وضع بعض الكتب فى الكيمياء ولعل الرموز التى ذكرها خالد هى أول الرموز فى الكيمياء . ويقال : إن من العلماء الذين استخدمهم خالد بن يزيد عبد الملك بن أبجر الكنانى ، الذى أسلم على يد عمر بن عبد العزيز ، وقد باشر التدريس فى « أنطاكية » و « حران » .

جاء الخليفة مروان بن الحكم فوجه بعض همته إلى النقل فترجم له ماسرجويه البصرى كتاب (أهرون بن أيمن القس) من السريانية ، وهو يعد من الكتب النفيسة التى تناولت الحكمة وغيرها .

يقول الدكتور محمد عفيفى[3] : سار عبد الملك بن مروان [٦٥ ـ ٨٦ هـ] على منوال والده فى الاهتمام بالنقول والترجمة ، حتى ليُعدُّ هذا الخليفة أبرز خلفاء بنى أمية اهتماماً بالتعريب والترجمة ، حيث وجه همَّته إلى ترجمة الدواوين إلى العربية ، لأن دواوين مصر كانت مازالت بالقبطية ، ودواوين الشام بالرومية ، ودواوين العراق بالفارسية ، وبذلك وضع لبنة قوية فى صرح بناء القومية العربية ، وتأصيل التعريب .

ولما كانت خلافة عمر بن عبد العزيز (الملقب بـ « خامس الخلفاء الراشدين : [٩٩ – ١٠١ هـ] عثر على كتاب (أهرون) فى خزائن موروثات الخلافة ،

---

(١) مرحبا (د / محمد عبد الرحمن) : الموجز فى تاريخ العلوم عند العرب. دار الكتاب اللبنانى بيروت ، بدون رقم الطبعة ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧٠ م .

(٢) عز الدين (د / يوسف) : تراثنا والمعاصرة . دار الإبداع الحديث للنشر ، بدون رقم الطبعة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

(٣) عفيفى (د / محمد) : مرجع سابق .

فأخرجه ، وحثَّ المسلمين على قراءته والانتفاع به لما له من أثر كبير فى التفكير الفلسفى ، واحتوائه على ألوان من الحكمة ذات القيمة فى بناء الحياة الفكرية .

وبعد ، فإن أعمال الترجمة التى تمت فى العصر الأموى ظلت أعمالاً فردية ولم تأخذ شكل الفريق المتكامل أو الجماعة المتآزرة أو المشروع المنظم ، وبقيت هكذا تعتمد على جهود الأفراد حتى جاء عصر العباسيين [١٣٣ ـ ٦٥٦ هـ/٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م] فأخذت الترجمة والتعريب شكلاً لم تشهده أمة من ذى قبل من حيث الفخامة والتنظيم ، ومن حيث الانفتاح على علوم الأمم الأخرى وثقافات شتى الشعوب . وإذا كان العصر الأموى قد أنتج ثماراً لا بأس بها فى مجال الترجمة ونقل العلوم وتعريب المعارف ، فإنه للأسف قد ضاع تراث العرب والمسلمين الذى وضع فى هذا العصر أو قد يكون اندثر فلم نعرف عنه شيئاً حتى الآن ، ولعلنا يوماً ما ـ إن شاء الله ـ نصل إلى شىء منه حتى نقف على ما قاموا به من وضع مصطلحات علمية وإدارية ومالية وغيرها ، ليقابلوا بها المصطلحات اليونانية والفارسية والقبطية .

العصر العباسى

كان العصر العباسى بحق أزهى عصور الترجمة والتعريب ، بل كان « العصر الذهبى للترجمة » ، فقد أصبحت الدولة هى راعية هذه الحركة فخصصت لها المبالغ الجزية والعلماء والمترجمين والبحث عن الكتب والمراجع من أصقاع الدنيا .

يرجع الدكتور عامر النجار[1] أهم بواعث الترجمة والنقل فى الإسلام إلى رعاية الخلفاء العباسيين للتراجمة ، فقد كان بعض الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهباً ... كما أن الخليفة المأمون [١٩٨ ـ ٢١٨ هـ/٧٨٦ ـ ٨٣٣ م] أنشأ بيت الحكمة وضم إليه سائر المترجمين المتميزين ... ثم هناك عامل آخر ساعد على انتشار الترجمة فى العصر العباسى وهو أن الدولة العباسية كانت تعتبر العلم والترجمة مظهرين هامين من مظاهر التقدم الحضارى والثقافى والعمرانى للدولة العباسية أبان قوتها وازدهارها .

يقول الدكتور محمود حافظ[2] : أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ، ويترجمون

---

(١) النجار (د / عامر) : فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية . سلسلة تاريخ العلوم عند العرب (١) ، دار الهداية بالقاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

(٢) حافظ (د / محمود) : قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر . مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية ، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية . وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة ـ التى امتدت بعد ذلك بضعة قرون ـ عدد من العلماء العرب الأعلام ، قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات ، وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم . كان ذلك العصر عصراً ذهبياً للغة العربية ، فقد زخرت بآلاف المصطلحات والمقابلات والمأثورات ، ومازلنا نحن المشتغلين بالعلوم حتى اليوم نترع من نبعهم الفياض كؤوس العلم والمعرفة بلغة عربية جزلة معطاءة اتسعت آفاقها الرحبة لمختلف العلوم والفنون .

كان أبو جعفر المنصور [١٣٥ ـ ١٥٨ هـ] ، ثانى الخلفاء العباسيين ، مولعاً بالطب والنجوم والفلك والهندسة ، فكاتب ملوك الروم يطلب منهم مالديهم فى هذا الشأن فبعثوا إليه كليات اقليدس فى الهندسة ، وفى الطبيعيات . وفى ذلك يقول المسعودى : كان أبو جعفر المنصور أول خليفة تُرجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية ، منها كتاب : كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وتُرجمت له كتب أرسطوطاليس من المنطقيات وغيرها ، وتُرجم له كتاب المجسطى لبطليموس ، وكتاب الأرثماطيقى ، وكتاب اقليدس ، وسائر الكتب القديمة من اليونانية والرومية والفهلوية والفارسية والسريانية ، وخرجت إلى الناس فنظروا فيها وتعلقوا إلى عملها .

وكان جورجيس [١٦٠ هـ/٧٧٧م] رئيس أطباء جنديسابور قد استقدمه المنصور ليكون طبيبه الخاص ، لما شاع عنه من مهارته الطبية ، وكان يجيد اليونانية والفارسية ، فقام بترجمة كثير من كتب الطب اليونانى والفارسى ، وسار أولاده وتلاميذه كبختيشوع وسرجيس على نهجه فى الترجمات الطبية .

وسار هارون الرشيد على منوال أسلافه ، فحينما افتتح عمورية وأنقرة انتخب من أبنائها فريقاً من العلماء والتراجمة وجعلهم فى حاشيته ، وطلب إليهم أن يختاروا عيون الكتب التى وجدت فى مكتبات هاتين البلدتين ، فاختاروا الكتب النادرة التى لا توجد عند غيرهم من الأمم فى ميدان الطب والفلسفة والفلك ، ونقلوها إلى بغداد ، وأمر الرشيد آنذاك أبا زكريا يوحنا بن ماسويه [٢٤٤ هـ] أكبر أطباء عصره أن يرعى هذه المنقولات ، وأن يعنى بترجمتها وأن يختار فى سبيل إنجاز هذه الترجمة من يعاونه ممن أحسنوا اللغات إلى جانب العربية .

وشيد الرشيد بيت الحكمة ببغداد [٨٣٠م] ، فلما آلت الخلافة إلى المأمون

[١٩٨ ـ ٢١٨هـ] سار سيرة والده ، بل أشرف على الذروة ، حيث وجّه همته إلى الترجمة والتأليف ، حيث كان يميل بطبعه إلى كتب الحكمة ولا سيما كتب الفلسفة والمنطق ، وأكثر من ترجمة هذا اللون ، لأنه رأى فيه خير معوان على دعم العقل ، وتحكيم المنطق ، مما دعا إلى بروز «علم الكلام» واستوائه فنًّا له مناهجه وقضاياه المعينة . واهتم المأمون ببيت الحكمة وألحق به مرصداً ومكتبة حافلة ، وجذب له العلماء والمترجمين والطلاب من كل صوب وحدب .

يقول الدكتور أحمد الحوفى [١] فى هذه المسألة : نقل الخليفة المأمون إلى بغداد مئات من الكتب اليونانية التى كانت فى القسطنطينية ، ولما عقد الصلح مع الإمبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث اشترط عليه أن يبيح له نقل ما يختاره من كتب العلوم القديمة المخزونة فى بلاد الروم ، فأجابه إلى ذلك بعد امتناع ، فأنفذ المأمون جماعة ، منهم الحجّاج بن مطر وابن البطريق ويوحنا بن فاسون ، فنقلوا ما اختاروه ، فلما حملوه إلى المأمون أمرهم بترجمته ، فترجموه ... ولما صالح المأمون حاكم جزيرة قبرص طلب منه أن يبعث إليه الكتب اليونانية التى بالجزيرة ، فبعثها ، وأقام سهل بن هارون قيّماً عليها .

وإذا كانت الدولة هى راعية النهضة ومفجرة ينابيع الحضارة ، فإن الأفراد فى عصر الدولة العباسية كان لهم دور كبير فى العناية بالترجمة ونقل المعلومات الأجنبية أيضاً . فلقد كان لبعض أهل الثراء ممن عرفوا بالعلم والفضل ، نصيب وافر فى هذا المضمار ، ولقد كان لإقدام المأمون على ترجمة كتب العلم والفلسفة أثر كبير فى نفوس الأغنياء من رعيته ، فاحتذى بعضهم حذوه فى طلب كتبها والإغداق على مترجميها. ومن هذا البعض بنو موسى المنجّم (من أثرياء القرن الثالث الهجرى) ، وهم محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر ، فقد كانوا كثيرى الاهتمام بنقل الكتب إلى اللغة العربية ولا سيما كتب الرياضيات .....وكانت لهم دار مخصصة لإقامة المترجمين ، فعهدوا فيها بالترجمة إلى عدد من النقلة المشهورين كحنين بن إسحاق وحبيش بن الأعسم وثابت بن قرة وغيرهم ، فيرزقونهم بخمسمائة دينار فى الشهر للنقل والملازمة ، كما يقول السجستانى [٢] .

---

(١) الحوفى (د/أحمد) : اللغة العربية ـ تاريخها وخصائصها وآثارها فى الحضارة العالمية . ضمن بحوث كتاب « دراسات فى الحضارة الإسلامية » . مج ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

(٢) مرحبا (د / محمد عبد الرحمن) : مرجع سابق .

نقل الدكتور أحمد شلبى[1] عن فيليب حِتىّ فى كتابه (تاريخ العرب) أنه بينما كان الرشيد والمأمون يُخرجان كنوز الفلسفة القبطية واليونانية والفارسية ، كان معاصروهم فى أوروبا من أمثال شارلمان وسادة مملكته يتعثرون فى كتابة أسمائهم !! .

ويقول الدكتور حسن فتح الباب[2] : اقترن عصر استقرار الدولة الإسلامية وازدهارها واتساع نفوذها وترامى أطرافها بازدهار البحث العلمى عن طريق التبادل والتعاون بينها وبين الدولة الرومانية (البيزنطية) بصفة خاصة . ولا غرو أن يطلق على عصر هارون الرشيد وابنه المأمون « العصر الذهبى للفكر والمعرفة » ، وأن تبلغ فيه حركة البحث العلمى مدى بعيداً ، فلقد كان عصر الإحياء العلمى بحق ، لأنه العهد الذى ارتفعت فيه أعلام الإسلام على كثير من أقطار العالم الغنية بالموارد ، وساد فيه السلام الإسلامى مشارق الأرض ومغاربها .

ويقول أيضاً : لقد امتدت حركة الترجمة التى بدأها الأمويون إلى جميع فروع العلم والمعارف ، ولم يألُ العباسيون جهداً فى استقاء العلوم والفلسفات والرياضيات من شتى مصادرها والبحث عنها فى منابتها القاصية . وغنى عن الذكر أن نجاح حركة الترجمة والبحث العلمى يرجع فى المقام الأول إلى حرية الفكر التى جاء بها الإسلام ، وكانت ديدن المسلمين فى تعاملهم مع غيرهم .. وصارت بغداد والكوفة والبصرة مراكز قيادة ومصادر إشعاع ، يقطنها أقطاب العلم والقيادات الفكرية ، ويقصدها طلاب العلم ويتزاحم عليها المتعطشون للمعارف والثقافة والعلوم والفنون .

أساليب الترجمة

الترجمة هى نقل المصطلح الأجنبى إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه ، فيتخيّر المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل معنى المصطلح الأجنبى ... وعلى الرغم من أن الترجمة المباشرة هى الغالبة ، إلّا أن المترجم يلجأ أحياناً إلى التحوير أو الحشو أو الحذف لكى يوفق بين اللفظ المترجم والذوق العربى .

---

(١) شلبى (د / أحمد) : تاريخ المناهج الإسلامية . ع (١) فى موسوعة النظم والحضارة الإسلامية . مكتبة النهضة المصرية ، ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

(٢) فتح الباب (د / حسن) : حركة البحث العلمى والعلاقات الدولية فى عصور ازدهار الحضارة الإسلامية . الوعى الإسلامى (٢٠٣) ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

وعموماً فإن الترجمة إما أن تكون حرفية أى نقلاً كلمة بكلمة ، وإما أن تكون معنوية ، ومنها تظهر قدرة المترجم وفنّه ومدى تضلعه باللغتين ، المنقول منها والمنقول إليها .

أولاً : الترجمة الحرفية :

يقوم المترجم بنقل النص كلمة بكلمة وحرفاً بحرف ، وبالطبع فإن هذه الترجمة فاسدة لأنها دائماً ما تكون مفككة ، وليس بين كلماتها كبير ارتباط أو سياق يحكم وحدتها ، فضلاً عن أن كثيراً من الكلمات الفنية ليس لها مصطلحات تقابلها فى العربية ، أضف إلى هذا أن التعابير ذات الصبغة المجازية لا يتيسَّر لمترجم أن يقوم بنقلها بعيْنها إلى اللغة المترجم إليها ، لأن ثمة فارقاً كبيراً بين الحقيقة والمجاز . وكان أشهر المترجمين بهذه الطريق : يوحنا بن البطريق ، وعبد المسيح بن الناعمة الحمصى .

وإذا كان اختلاف التراكيب فى اللغات وعدم تكافؤ الألفاظ فيها قد أدى إلى غموض المعانى فى الترجمة العربية ، فهل من إصلاح وتنقيح لما تمت ترجمته ؟ نجيب عن هذا السؤال بانه قد قام مترجمون ممتازون بإصلاح ما تمت ترجمته بالطريقة الحرفية ، أو حتى أعادوا ترجمتها . فإذا كان ابن البطريق مثلاً قد تصدى للترجمة عن اليونانية وهو لا يجيدها برغم تمكّنه من اللاتينية ، فإن إسحاق بن حنين قد نهض بإصلاح أو إعادة ترجمة ابن البطريق من مؤلفات جالينوس ؛ بل كان حنين يعيد ترجمة ما سبق له هو أن نقله إلى العربية فى صباه ، وفعل فى ترجمات « اصطفان بن باسيل » مثل ما فعل فى ترجمات « ابن البطريق »[1] .

ثانياً : الترجمة المعنوية :

يأتى المترجم أو الناقل إلى تفهُّم عبارة النص ويحصّل معناها فى ذهنه بالتعبير عن فحواها إلى العربية بجملة تطابقها فى المعنى وإن لم تكن تساويها فى عدد الكلمات . وبذلك يكون الناقل بهذه الطريقة أكثر سداداً لأن المقصود فى الترجمة ليست الألفاظ وإنما الفكرة الدقيقة التى يريدها المؤلف الأصلى . وكان عميد هذا الاتجاه هو حنين بن

---

(١) الطويل (د / توفيق) : فى تراثنا العربى والإسلامى . عالم المعرفة ع (٧٨) ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

إسحاق ، وكان ـ كشهادة المؤرخين ـ جيد الأسلوب واضح المعنى ، وإذا لجأ إلى نقل المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية فإنه كان يتبعها بشرح معناها حتى يتحدد مدلولها فى اللغة العربية .

وأما عن دقة المترجمين فى ذلك العصر ، وأمانتهم فى النقل ، يقول الدكتور توفيق الطويل[1] : كان أغلبهم يلتزمون الدقة ويتوخون الأمانة فيما ينقلون ، فكانوا فى العادة يحرصون على أن تكون تحت أيديهم نسخ الأصل الذى ينقلون عنه وترجماتها فى غير العربية ـ السريانية ـ ليقابلوا بين بعضها والبعض الآخر . وكان يقسمّون الجمل إلى بنود وفصول وفقرات حتى يتيسّر نقل معانيها إلى العربية فى وضوح لا يحتمل اللبس كما كان يفعل ابن الأشعث فيما يروى ابن أبى أصيبعة . وشروحهم للأصل تشهد بأنهم كانوا على إلمام دقيق بالتعبيرات الدارجة والمصطلحات المألوفة فى اللغة التى ينقلون عنها .

ولعل النص الآتى من الفهرست لابن النديم يوضح مسلك المترجمين أو المعرِّبين فى زمن قيام الحضارة العربية الإسلامية العظمى : (قال أحمد بن عبد الله بن سلام : ترجمتُ صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من اللغة العبرانية واليونانية والصابئة ، وهى لغة أهل كل كتاب إلى اللغة العربية حرفاً حرفاً ، ولم أبتغ فى ذلك تحسين لفظ ولا تزيينه ، مخافة التحريف ، ولم أزد على ما وجدته فى الكتاب الذى نقلته ولم أنقص إلّا أن يكون فى بعض ذلك من الكلام ما هو متقدم بلغة أهل ذلك الكتاب فلا يستقيم لفظه فى النقل إلى العربية ، إلّا أن يُؤَخَّر ، ومنه ما هو مؤخَّر لا يستقيم إلّا أن يُقدَّم ليستقيم ذلك بالعربية ... وأعوذ بالله أن أزيد فى ذلك أو أنقص منه إلّا على هذا الوجه الذى ذكرتُه وبيَّنْتُه فى هذا الكتاب) .

وعلى أية حال ، فإن اللفظة الأجنبية الواحدة قد يكون لها فى النقل العربى مترادفان أحدهما مترجم والآخر معرَّب ، ويعيشان معاً إلى أن يتغلب أحدهما على الآخر لأسباب أهمها كثرة الشيوع والذيوع أو انتشار قبول استعمالها بين الناس ، ومثال ذلك تلغراف وبرقية ، تليفون وهاتف ، وراديو ومذياع .

وخلاصة القول : إن العرب قد اعتمدوا فى حركتهم الحضارية العظمى أول اعتمادهم على لغتهم ، لكنهم لم يجدوا بأساً من الأخذ من المصطلحات الأجنبية ، وذلك

---

(١) الطويل (د / توفيق) : نفس المرجع .

لسعة رقعة الأرض العربية التى كانت تغصّ باللغات الشتى والشعوب المختلفة . وهذا المنهج قد أقره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أيامنا الحالية . لكن لا بأس من التعرف على شروط الترجمة قديماً ، فلقد شرح هذا الجاحظ ، ذلك العالم العربى الموسوعى الذى لقبه الأستاذ إبراهيم خورشيد بـ « المثقف العربى الأول فى القرنين الثانى والثالث الهجريين » . يقول الجاحظ فى شروط المترجم : .... ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن عمله فى نفس المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلم الناس باللغة المنقول منها والمنقول إليها ، حتى يكون فيهما سواء وغاية ، ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين علمنا أنه قد أدخل الضَّيْم عليهما ، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى ، وتأخذ منها ، وتعترض عليها . وكيف يكون تمكّن اللسان منهما مجتمعيْن فيه ، كتمكّنه إذا انفرد بالواحدة ؟ وإنما له قوة واحدة ، فإن تكلم بلغة واحدة استغرقت تلك القوة عليها ، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات . وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق ، والعلماء به أقل ، كان أشد على المترجم ، وأجدر أن يخطىء فيه ، ولن تجد ألبتة مترجماً يفى بواحد من هؤلاء العلماء .

أشهر المترجمين والنَّقَلة

استعان العرب المسلمون بكثير ممن لهم قدرة وباع كبير فى عمليات نقل العلوم والمعارف المختلفة من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية ، وكان القسم الأكبر من الذين عانوا بترجمة العلوم من السريان الذين كان معظمهم نصارى نساطرة ويعاقبة ، وقليل منهم من أتباع المذهب الأرثوذكسى والمارونى ، وقليل جداً من اليهود . أما المترجمون والنقلة من العرب فقد كانوا قلة ، وإذا انحصرت جهود السريان فى النقل من اللغتين السريانية واليونانية إلى العربية ، فقد اهتم هذا النفر القليل من النقلة العرب بترجمة العلوم من اللغات الفارسية والهندية إلى العربية .

وكان من أشهر المترجمين عن اليونانية والسريانية : ماسرجويه الذى ترجم لعمر بن عبد العزيز [١٩٩ ــ ١٠١ هـ] ، من السريانية إلى العربية ، موسوعة طبية يونانية . تيوفيل بن توما الرهاوى ، وأبى يحيى (يوحنا) البطريق الذى كان من أوائل المترجمين وقد استخدمه الخليفة المنصور ، وأتى من بعده ابنه يحيى (أبو زكريا) بن البطريق الذى نقل كتاب (سر الأسرار) ، المنسوب إلى أرسطو ، إلى اللغة العربية ، ومنهم الحجاج بن

يوسف بن مطر الحاسب الذى ترجم (المجسطى) لبطليموس ، ومنهم سهل بن ريان الطبرى وهو الذى وضع الترجمة العربية الأولى لكتاب (الأصول) لاقليدس ، ومنهم حنين بن إسحاق وهو من أشهر النقلة ، وقد تعلم اليونانية وآدابها الطبية ، وتعلم العربية على الخليل بن أحمد ، وحذق السريانية والفارسية ونقل عدداً كبيراً من الكتب الطبية وقد اختاره الخليفة المأمون لرياسة بيت الحكمة ، وكذلك ابنه إسحاق ، ومنهم أيضاً ابن أخيه حبيش بن الحسن ، ومنهم ثابت بن قرة الحرانى الذى كان يحسن اليونانية والسريانية والعبرية ، وكان جيد النقل إلى العربية ، ومنهم قسطا بن لوقا البعلبكى ، الذى عاش فى زمن الخليفة العباسى المستعين بالله ، وقد برع فى نقل الكتب الطبية والرياضية والفلكية ، ومنهم يوسف الخورى القس ، ومنهم نيقولاوس الراهب .

أما أشهر المترجمين والنقلة عن اللغة الهندية فمنهم أبى عبد الله بن إبراهيم بن حبيب الفزارى الكوفى ، الذى اشتهر فى ترجمة الكتب الفلكية فى عصر المنصور ، وقيل أنه هو الذى ترجم «**السندهند الكبير**» ، وقيل إن ابنه محمد هو الذى نقله عن الهندية .

وإن مما يزيد إكبارنا بالمترجمين والمعرِّبين فى تلك الفترة الذهبية من حياة الأمة العربية والإسلامية ، أن هؤلاء لم تتوفر لديهم المعاجم والقواميس فى أية لغة كانوا ينقلون منها سريانية أو يونانية أو هندية أو فارسية أو غيرها ، وإنما كانوا يعتمدون على أذواقهم وقدراتهم على إدراك المعانى والمراد ، إضافة إلى مقدرة كبيرة فى اللغة العربية ذاتها ، خاصة فى اشتقاقها وتصريفاتها .

وأما بخصوص قضية المصطلح العلمى[1] فى العصر العباسى ، فإن الدكتور محمد شرف صاحب المعجم الشهير (معجم العلوم الطبية والطبيعية) يقول فى مقدمته : فإذا عرفنا أن الذين تولوا نقل علوم اليونان إلى العربية فى عصر الخلفاء العباسيين كانوا من النسطوريين والكلدانيين والأعاجم ، وهؤلاء كانوا علماء أكثر منهم أدباء ، وإن كانوا تعلموا العربية فإنهم لم يتفقهوا فيها ولم يتقنوا آدابها ، فإننا لن نستغرب أن نجد ما عربوه مشحوناً بالألفاظ الأعجمية مع أنَّ لها فى العربية مرادفات ... وأنهم لم يجروا فى التعريب على نمط واحد يصح اتباعه إلّا فى أحوال معينة ، بل تجدهم صوّروا الكلمات اليونانية بصور شتى ، يصعب على قارئها رجعها إلى أصولها ... ولم يذكر أحد منهم أو من أئمة اللغويين أىَّ قواعد لما يُعرِّب من الكلمات الأعجمية .

---

(١) سوف نناقش هذه القضية بالتفصيل فى الباب الرابع إن شاء الله .

لكن مجمل القول أن أهل الترجمة والنقل فى الحضارة العربية الإسلامية السالفة الزاهرة توخوا « البيان والإيضاح » ولم يتوقفوا أمام قضية المصطلحات ، بل كان كل مصطلح لا يسهل عليهم نقله بلفظ عربى أصيل بادروا إلى تعريبه تعريباً لفظياً ... من غير أن يحول ذلك دون نقل نص علمى برمته إلى العربية ، أو دون تأليف كتاب بالعربية [1] ، تاركين للأجيال من بعدهم مهمة صياغة مصطلح مثيل لتلك الكلمات ...

ولنا فى ختام هذه الجزئية كلمة هى أن هؤلاء الرجال مهما قيل عن جهودهم ومهما تعرضت أعمالهم للتحليل والنقد أو إبراز بعض جوانب قصورهم ، فإنهم نهضوا بنهضة لم يسبق لها مثيل فى العالم الإسلامى ، بل لا تدانيها نهضة فى نفس هذا العالم العزيز حتى الآن ، هؤلاء الذين على أكتافهم قامت الحضارة العالمية التى غذاها إبداع المبدعين والمؤلفين بعد اطلاعهم على كل ما تم نقله وترجمته أو ما بقى بلغاته الأجنبية دون ترجمة .

نتائج هذه الحركة الحضارية العظمى

لقد نمت اللغة العربية على أيدى المسلمين فى عصور النهضة العلمية العظمى بفضل ما أوتوا من اقتدار على الاشتقاق والتعريب ، ولقد كانت هذه التجربة الأولى فى العالم الإسلامى نبراساً لقدرة هذه اللغة العريقة على التوسع والمقدرة على التعبير عن دقائق العلوم ، وقد أضحت لغة العلوم قروناً عديدة من الزمان . ولعلنا فيما يلى من فقرات نأتى على أهم النتائج التى أثمرتها حركة الترجمة العظمى فى عصر الخلافة العباسية على وجه الخصوص وفى عصرى الخلافتين الأموية والعباسية على وجه العموم .

١ ــ اتسعت آفاق المعرفة فى العالم العربى والإسلامى لتشمل علوماً وفنوناً وفلسفات لم يكن للعرب والمسلمين بها علم من قبل ، أو كانوا على إلمام ضئيل ببعضها ، فأفادوا سعة وعمقاً وخبرة ، بل يندفعون إلى تعمق آيات القرآن الكريم وفهمها والغوص فى معانيها . وقد أدى احتكاكهم بالشعوب الأخرى ومحاورتهم للفرق المختلفة والمذاهب والعقائد الشتى إلى دراسة هذا وذاك وعرضه على ميزان الحس الإسلامى ونبذ الفاسد

(١) الخياط (د / محمد هيثم) : تعريب التعليم العالى والجامعى فى سورية فى ربع القرن الأخير . ندوة اتحاد المجامع اللغوية العربية بالرباط ، ١٩٨٥ م .

والانتفاع بالمفيد . إلّا أنه قد أدى ذلك أيضاً إلى ظهور الفرق الإسلامية وتعدد المذاهب الفكرية والمدارس العلمية ، وهذا ليس من تخصصنا التفصيل فى شرحه .

٢ ـ يقول صاحب كتاب (تطور الفكر العلمى عند المسلمين) : بلغ التطور درجة ملحوظة فى العصر العباسى الذى يعتبر عصر الترجمة والنقل ، وأقيمت من أجلها الدواوين ودور الحكومة والمدارس ، وكثر استقدام العلماء من متعددى اللغات ، فمن اليونانية إلى السريانية إلى الفارسية إلى القبطية إلى الهندية ، حتى إذا استقر الأمر بانتهاء دور الترجمة ، كانت حضارة العرب قد تفتحت ، وأينعت ثمارها ، وأخذت تملأ مسامع العالم المعمور يومئذ ، حتى قال العالم ليبرى Libri : « **احذفوا العرب من التاريخ ، يتأخر عصر التجديد فى أوروبا عدة قرون** »[1] .

٣ ـ كان من أهم هذه النتائج أيضاً إثراء اللغة العربية ، بما دخل إليها من مصطلحات وتعابير جديدة فى مختلف العلوم والفنون ، فقد دخل فى اللغة العربية كثير من المعانى والتراكيب والعبارات العلمية ، وأصاب قاموسها عدداً كبيراً من الألفاظ الأجنبية ، وتحولت من لغة قبلية إلى لغة عالمية قادرة على استيعاب كافة مجالات الحياة من سياسة وقانون وإدارة وعلوم ، وسيطرت على اللغات المحلية جميعها فى كافة بقاع العالم الإسلامى آنذاك .

وإذا أردنا أن نعرف مبلغ الأثر الذى خلفته الترجمة والنقل فى عمود اللغة العربية ، فهذا الأثر إنما يتجلى فيما طرأ على الأدب من تغيرات عميقة ، وفيما اتسعت له الألفاظ العربية من معان جديدة ازدادت بها غنى ودقة ووضحاً وسلاسة ، وفيما طرأ على الكتابة والتأليف من تنسيق وتنظيم .. فأصبحت العربية قادرة على أن تعبر عن منطق أرسطو وفلسفة أفلاطون وطب أبقراط وجالينوس[2] ..

٤ ـ لقد تحمل العرب مسئولية جسيمة هى نقل تراث الإنسانية المشتت وتطويره وإضافة كثير من المبتكرات إليه ، بعدما شرحوه وطبقوه ، لكن تجاربهم وملاحظاتهم واستقصاءاتهم قد أضفت على كل هذه العلوم الخاصية العربية والذاتية الإسلامية ، فقدموا للبشرية إلى آخر الزمان حضارة لن ينساها الإنسان فى كل بقاع الدنيا ، لأنها فى

---

(١) عفيفى (د / محمد الصادق) : مرجع سابق .

(٢) مرحبا (د / محمد عبد الرحمن) : مرجع سابق .

الحقيقة هى التى حملت إليه مشعل الحضارة الحديثة وأساس ما هو فيه الآن من تقدم عالمى معاصر .

٥ ـ قدم المسلمون فى القرون الخوالى للإنسانية خدمة عالمية جليلة ، فقد حافظوا على التراث الإنسانى من الضياع وصانوه من العبث وأنقذوه من الدمار ، فقد كان مصيره الضياع لولا أن قيّض الله له العرب ، فلم يفعلوا به ما فعله الفرنجة فى أسبانيا عندما أجلوا المسلمين عنها أو ما فعله المغول والتتار عندما هاجموا البلاد الإسلامية ، ورموا بالتراث العربى والإسلامى فى البحر وحرقوه .

٦ ـ ظهر أثر الترجمة أيضاً فى صناعة الكتب من حيث التنسيق والتبويب والتنظيم ، وفى تأليفها بوجه عام من حيث التسلسل فى عرض الأفكار والآراء ، وتوضح الكتب التى وضعت فى تلك الفترة ما وصل إليه العرب المسلمين من قوة عظيمة فى التمحيص والتحليل والغوص فى أعماق المعانى .

يقول الدكتور أحمد الحوفى[1] : لقد قضت أوروبا ثلاثة قرون [من القرن الثانى عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادى] وهى تترجم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية . ولم تقتصر على مؤلفات ابن سينا وابن رشد والرازى ونظرائهم ، بل إنها ترجمت عن اللغة العربية كتب اليونان التى كان العرب قد ترجموها ، مثل كتب جالينوس وأبقراط وأفلاطون وأرسطو وأقليدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من العربية إلى اللاتينية على ثلثمائة كتاب . ولقد ظلت ترجمات الكتب العربية ، لا سيما الكتب العلمية ، هى المصدر الوحيد تقريباً للتدريس فى جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون .

وأحصى الدكتور فاضل الطائى[2] ما لا يقل عن خمسين كتاباً لجابر بن حيان مترجمة إلى اللغات الأوروبية الحديثة كالألمانية والإنجليزية والفرنسية .

يقول الدكتور لوكلير فى كتابه «**تاريخ الطب العربى**» :إن اللغة العربية لها الفضل فى معرفة أوروبا كتباً يونانية ضاع أكثرها ، مثل كتاب جالينوس فى الأمراض السارية وكتاب أرسطو فى الحجارة ، وكتاب أبولوينوس فى المخروطات . ويعقّب جوستاف لوبون فى كتابه «**حضارة العرب**» على هذا بقوله : إذا كانت هنالك أمة نقرّ بأننا مدينون لها

---

(١) الحوفى (د / أحمد) : مرجع سابق .

(٢) الطائى (د / فاضل) : لمحات علمية . مطبوعات المجمع العلمى العراق . ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م .

بمعرفتنا لعامل الزمن القديم ، فالعرب هم تلك الأمة ، وليس رهبان القرون الوسطى الذين كانوا يجهلون حتى اسم اليونان ... وقد قال بذلك واعترفوا بفضل الحضارة العربية الإسلامية وأنها أساس ما يوجد فى العالم الآن من تقدم علمى وتطور تقنى ، مفكرون أجانب كسارتون وكراوس وهولميارد وبرتلو وغيرهم .

كذلك نجد مونتجمرى وات فى كتابه «**فضل الإسلام على الحضارة الغربية**» ـ الذى نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ـ يشرح فى عصر الترجمة الذهبى فى أوروبا للقيام بالنهضة التى امتدت وازدهرت الآن ، فيقول فى الفصل الخامس : أما العصر الذهبى للترجمة فقد وجد خلال القرن الثانى عشر حين قام كثير من العلماء فى أسبانيا بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللاتينية ، فما حل القرن الثالث عشر الميلادى حتى عرفت أوروبا الغربية حركة فكرية قوية قادرة على تمثل كل ما تعلّمه العرب فى ميدانى العلوم والفلسفة ، وقد ترجمت فى ذلك القرن المؤلفات العربية الممتازة التى لم تكن قد ترجمت بعد .

ثم ترسّل فى كلامه ليشتمل على الرياضيات والفلك والطب وغيرها من العلوم المختلفة التى دخلت فى بناء الحضارة الأوروبية الحديثة ، والتى إن دل شىء على وجودها فإن ألفاظاً ذات أصل عربى فى اللغات الأوربية الآن لتعد من أهم هذه الأدلة .

٧ ـ إن على العرب والمسلمين عموماً اليوم مسئولية هامة بل ومصيرية ، تلك هى التفتيش عن تراث أجدادهم والعناية بما كتبوا وبما ألّفوا وبما وضعوا ، لكن ليكن دائماً نصب أعيننا شىء هام هو أن هذا الإرث الضخم لا يخلو من نقول عن حضارات سابقة ولا يخلو من تلخيصات لعلوم الغير ، لذا وجب الحذر والحيطة للتمييز بين التأليف الخاص وبين التلخيص أو المنقول .

ونرى أن نختم الفصل الحالى بفكرة عن كتاب « مفاتيح العلوم » لمحمد بن يوسف الخوارزمى (وهو غير الخوارزمى الرياضى المعروف) ، فقد عاش هذا العالم فى القرن الرابع الهجرى حيث ازدهار الحضارة الإسلامية وتسنمها قمة الحضارة العالمية ، وألف هذا الكتاب وهو فى خراسان ، ليوضح فيه أن « المصطلحات » بحق هى « مفاتيح العلوم » ، بل هى مفاتيح المعرفة والمداخل إلى نقلها بدون خلط أو نقض .

لقد عرض الدكتور محمد حسن عبد الله [1] لهذا الكتاب ضمن ثلاثين كتاباً عرضها وحللها فى كتاب صدر له عام [١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨م] فى مصر هو (التراث ... فى رؤية عصرية)، وكان مما قاله فى نهاية عرضه لكتاب الخوارزمى : فى كتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمى ، نجد خريطة الحضارة العربية الإسلامية مرسومة بأبهى الألوان ، وأزهى القسمات ، نجد نشاط النقل والترجمة ينافس ويغذى نشاط الابتكار والإضافة ، ولا يتهدده . ونجد النقلة يؤلّفون أيضاً ، ويضيفون ، بمعنى أن شرط الأصالة متوفر فيهم ، ولهذا لم يتحولوا إلى خلايا غريبة فى مجتمعها ، إنها على العكس ، يد لهذا المجتمع العربى الإسلامى ، وعين له ، تمتد إلى بعيد ، بما توافر لها من استطاعة خاصة ، لكى تنتقى الأجود والأطيب والأنفع ، تبذل فيه جهد المدركين لعظمة ما يفعلون ، وتقدمه إلى أمتها العربية الإسلامية ، ليأخذ مكانه البنّاء فى عقلها وروحها وحركة تقدمها .

وبعد ، فإذا كنا نتساءل اليوم عن مدى قدرتنا على تعريب المعارف ومصطلحات العلوم ، ينبغى أن نتساءل أولاً : متى نستوعب تجربة الماضى لنستمد منها القوة الفاعلة من أجل ابتكار العلوم وتجديد ما ورثناه منها عن أسلافنا الأماجد .

(١) عبد الله (د / محمد حسن) : التراث فى رؤية عصرية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .